صرخة الفنانة "سناء الجمالي" الوجودية

الدكتورة أمينة بن منصور
فنانة تشكيلية، وأستاذة في المعهد العالي للفنون والحرف بقابس
الجمهورية التونسية

الملخص:

سناء الجمالي أعماري هي فنانة تشكيلية تونسية متخصصة في فن الخزف وهي من الفنّانات البارزات على الصعيد الوطني والعربي والعالمي، حقّقت الفنانة مسيرة فنيّة ثريّة تجعلها من المرجعيات المعاصرة الهامة للدراسة والبحث وتمثّل شخصيّة المرأة العربيّة بما تحمل من رؤى وأفكار ومواقف واعية بضرورة التحدّي لعنف الواقع.

تعتبر أعمالها الخزفية وسيلة للعلاج الفني، حيث تستخدم هذه الفنانة الفن الخزفي كوسيلة للتعبير والتأمل والتواصل الداخلي، حيث أن للفنانة قدرة على ترجمة الإحساس بالألم والاغتراب والعزلة... ترجمة تشكيلية من خلال معايشة أعراض كرْب ما بعد الصدمة مُعايشة تشكيليّة يكون فيها الإفشاء بالذات أسلوبا لونيًّا، شكليًّا... بطريقة غير لفظية تقودها إلى عالم الإبداع.

فكيف يصبح الألم في الفن التشكيلي جمالا وفكرا؟ وأي جماليات يطرحها؟

وما هو دور افشاء الذات وفاعليته في عملية العلاج الفني؟

الكلمات المفاتيح: الصرخة، العلاج الفني، افشاء الذات

Abstract:

Sanaa Al-Jamali is a Tunisian visual artist specializing in ceramics. She is among the prominent artists nationally, regionally, and internationally. The artist has achieved a rich artistic career that makes her an important contemporary reference for study and research, representing the Arab woman's personality with her visions, ideas, and conscious positions challenging the violence of reality.

Her ceramic works are considered a means of art therapy, as this artist uses ceramic art as a medium for expression, contemplation, and internal communication. She has the ability to translate feelings of pain, alienation, and isolation into a visual language through experiencing the symptoms of post-traumatic stress, a visual experience where self-disclosure becomes a chromatic and formal style, non-verbally leading her to the world of creativity.

How does pain become beauty and thought in visual art? What aesthetics does it propose? And what is the role of self-disclosure and its effectiveness in the art therapy process?

Keywords: The scream, art therapy, self-disclosure

المقدمة

عندما يتعلق الأمر بالعلاج الفني، يُعتبر العمل مع الخزف وتشكيله وتصميمه جزءًا من عملية التعافي والتنمية الشخصية، حيث يتم استخدام الخزف لإيجاد تجربة إبداعية تساعد على التعبير عن المشاعر والأفكار الداخلية، وتعزز الوعي الذاتي والتغيير الشخصي.

تعتمد الفنانة في أعمالها على تقنيات الخزف المختلفة وتستخدم ألوانًا وأشكالًا متعددة للتعبير عن الرؤية الفنية الخاصة بها، ان هذه الأعمال فرصة للتواصل العميق مع الذات ومع الآخرين من خلال الممارسة التشكيلية. تستخدم العلاجات الفنية بشكل عام لتحسين الصحة النفسية والعاطفية والجسدية، ولتعزيز التوازن والتأمل والتأقلم مع التحديات الحياتية وتستفيد الفنانة بصفة خاصة والمتلقي بصفة عامة من العلاج الفني الذي يستخدم الخزف على صعيد تخفيف الضغط والقلق والاكتئاب وتعزيز الاسترخاء والتأمل والتعبير الإبداعي. لقد وضفت الفنانة مختلف قدراتها وامكانياتها لتقدم أعمالا تزخر بالإيحاءات والرموز لتفجر فيها كل انفعالاتها وضغوطاتها النفسية، فانفعال الفنانة وتوترها تجاه الأحداث والتجارب المؤلمة التي انجرت عن جائحة الكوفيد يثيرها ويوتر وجدانها ويكون الملهم في دفعها الى الابداع والافشاء الذاتي

فكيف تمكنت الفنانة من أن تجعل من أعمالها لغة غير لفظية تتواصل بها بين الفنان وذاته من جهة وبين المتلقي من جهة أخرى؟

أنجزت سناء الجمالي أعماري معرضها الشخصي سنة 2021 متكونا من 25 عملا خزفيا تحت عنوان " **Le paradigme du CRI et le départ du choix**" استطاعت الفنانة من خلاله أ ن تجمع مجموعة من الوجوه الغريبة والمشوهة ذات الأفواه المفتوحة والتي تحمل في طياتها معاناة وحيرة وقلقا وألما وجوديا تجسم في صراخها.

غلاف كاتالوك للفنانة سناء الجمالي عماري، 2021

" Le paradigme du CRI et le départ du choix "

سناء جمالي أعماري،

Etonnants Etonnés,

Céramique en terre cuite émaillée à 980°

Langueur:100 cm, Largeur:56cm, Hauteur52cm

سناء جمالي أعماري،

Jour et Nuit

Ceramique en terre cuite émaillée à 980°

Langueur:100 cm, Largeur: 100cm, Hauteur:23cm

لقد أرادت الفنانة أن تؤسس للوجود الإنساني بواسطة منحوتاتها الخزفية مؤكدة حقها في ابداع حقيقة تخرج من بين أصابعها ومؤسسة لنفسها قانونا وجوديا ضمن معايير جمالية وفنية جديدة، فأعمال سناء الجمالي أعماري ليست تسجيلا للواقع بقدر ماهي افراغ وافشاء لذات الفنانة.

العلاقة التي أنشأتها الفنانة بين المادة (الطين) والصرخة أي بين الجسد والفكرة أصبحت توجها سعت من خلاله لتغذية تراكمات نفسية وصورية بنت منها حواسها الفنية تجاه الشكل واللون وتطوراتهما، كما تبحث الفنانة سناء الجمالي أعماري وتتعمق في مادتها الطينية محاولة من أن تمنحها حياة جديدة تتيح لها البوح بأسرارها وتحتضن من خلالها القلق البشري، حيث أنها تؤسس لتأويلات تتوالد وتتكاثر في ذهن الفنانة من جهة وفي ذهن المتلقي من جهة أخرى.

استطاعت الفنانة بفضل خيالها الفني ابداع فضاء تراوح بين البعد الجمالي والبعد الفلسفي، حيث ضمنت أعمالها وجوها تبعث على الحيرة، هذه الشخوص المشوهة تولد انطباعا لاستكشاف المخفي والتعبير عن الذات. انها صرخة إنسانية تطلقها الفنانة تتخللها صرخة فنية تدعو الى التحرر والانعتاق، " **فهكذا يلقي الفنان الأسئلة على المادة أكثر مما نتصور وهو يستحثها ليستفيد من معجزاتها وينصرف الى ما تقدمه من مشاعر**"[1]

وجوه تعاني وتصارع واقعها بكل ألم لتكشف عن عمق الوضعية المأساوية للكائن البشري

سناء الجمالي أعماري، Le trio

Ceramique en terre cuite émaillée à 980°, 71.5cm / 91.5cm

الافراط في التعبير

تواصل الفنانة المباشر مع مادة الطين

تطبع الفنانة أجزاء نباتية (طبيعية) وتستعمل الأسلاك الحديدية (صناعية) لتربط بين الموت والحياة، بين العنف والألم وبين الدمار والخلق

الفنانة سناء الجمالي أعماري في ورشتها

تبحث الفنانة وتتعمق في مادتها الطينية وتحاول أن تنطقها صرخات لتمنحها حياة جديدة تكون فيها قادرة على التعبير والبوح بأسرارها، فالفنانة تفر من عزلتها نحو حقيقة تربك المشاهد.

أشار الدكتور لمجد النوري:" **لطخة طين، عجين لين تشكله سناء الجمالي أعماري فيتشكل معها كما شاءت...كما شاءت أفكارها لتجعل منه أعمالا تبكينا وتفرحنا...**"[2]

هناك خاصيات لتشكيل العمل الفني للفنانة سناء الجمالي أعماري وذلك لما تحتويه من تأثيرات تشكيلية أسهمت في تفرد وتميز معالجتها للمواضيع الحساسة وهذا ما يدفعنا لاستنطاق أعمالها ضمن مبحث تحليلي ومساءلتها جماليا وفلسفيا داخل مبحث تشكيلي تسعى فيه الفنانة البوح عن مكنوناتها.

ومن خلال جولة تأملية في أعمال الفنانة الخزفية والوقوف عند تقنياتها وتعبيريتها ندرك أن الفعل التشكيلي عندها ما هو الا توحد بين الروحي والحسي، بين الوعي واللاوعي، حيث تظهر انفعالاتها

النفسية ورؤيتها للواقع محاولة تجاوز الصعاب والالام التي انجرت عن جائحة الكورونا وبالتالي ترجمة انفعالاتها عبر الفعل التشكيلي.

ومن خلال مساءلة أعمال سناء الجمالي الخزفية من منظور العلاج بالفن، يمكن أن نستنتج عدة جوانب:

التعبير الإبداعي:

تعتبر أعمال سناء الجمالي الخزفية وسيلة للتعبير الإبداعي للأفكار والمشاعر الداخلية، حيث تعكس الأشكال والتصميمات والألوان في أعمالها مشاعر معينة أو رؤى فنية تعبر عن عوالمها الداخلية.

التأمل والاسترخاء:

ان عملية التواصل المباشر مع مادة الطين والتشكيل والتصميم مهدئة وتعمل كوسيلة للتأمل والاسترخاء، حيث تتطلب تقنيات الخزف التركيز والانغماس في العمل، مما يتيح للفنانة تجربة مهدئة

التواصل الداخلي:

تساعد الأعمال الخزفية لسناء الجمالي على تعزيز التواصل الداخلي والتواصل مع الذات، وذلك بواسطة التعامل مع المواد وتشكيلها ويمكن للفرد أن يواجه مشاعره وأفكاره بشكل مباشر ويستكشف تجاربه الشخصية.

التحول والتجربة الشخصية:

توفر الأعمال الخزفية للفنانة فرصة للتحول والتجربة الشخصية، حيث يمكن للفنان وللمشاهد أن يشهدوا تطورًا شخصيًا خلال عملية التعامل مع الطين وتشكيله، مما يساهم في التغيير والنمو الشخصي.

الصرخة مادة بصرية

تميزت أعمال الفنانة سناء الجمالي بالعفوية، التلقائية والحرية حيث تشكلت من خلال انفعالات ومشاعر باطنية، استعملت أيضا الألوان الحارة مثل الأحمر والبرتقالي لتشير الى تفاعلات داخلية ساهمت في استفزاز المتلقي. هذا التعبير العنيف الذي ينبع من روح الفنانة متجسدا في الانفجار الباطني (الصرخة) والظاهري للفعل التشكيلي ما هو الا تعبيرا نفسا وجماليا خاصا بها.

سناء جمالي أعماري، **Les barques de la mort**

émail, raku, 2019

ففي عملها Les barques de la mort يتكون الفضاء بمجموعة من الرؤوس البشرية المشوهة حبستهم الفنانة وسط قضبان من الحديد لا يستطيعون التخاطب مع بعضهم أفواههم مفتوحة تصرخ بقوة في أشكال غريبة تحمل في ذاتها معاناة الإنسانية، حيث أعطت العمل الفني بعده الرمزي حتى يكون ترجمة للهم الجماعي.

تشكيل مجموعة من الرؤوس من الخزف مع أفواه مفتوحة تصرخ من قبل الفنانة سناء جمالي أعماري يحمل تحليلًا تشكيليا ونفسيًا عميقًا.

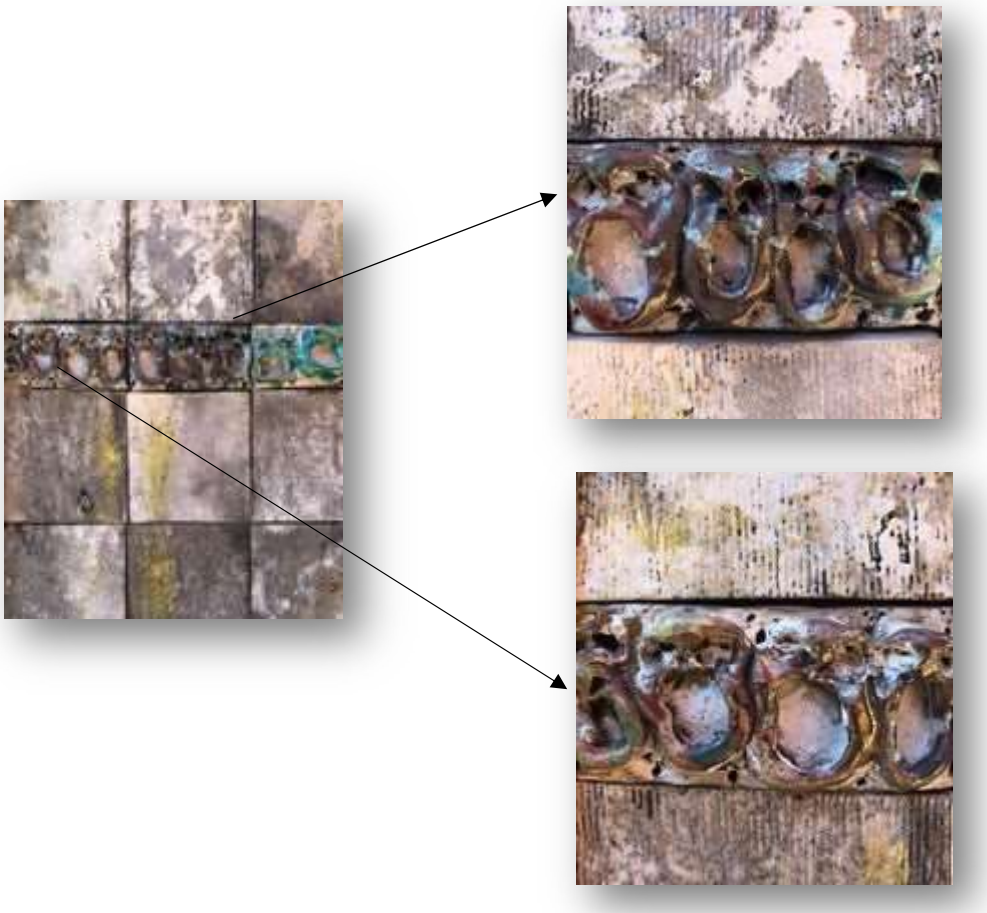

« Entre / Between » ، سناء جمالي أعماري،

Panneau en terre cuite chamottée cuisson raku, 41 cm / 51 cm

وجوه متراصة ملاصقة في خط أفقي يقسم العمل الى نصفين، الأفواه المفتوحة حد الانفجار تصرخ صرخة وجودية، فالإيقاعات الشكلية (الوجوه) تشكل ثقلا وكتلا دالة على جملة من المعاني، كما تشكل مجالا جماليا يكسب العمل الفني قيمته

التحليل التشكيلي:

- الرؤوس: تشير الرؤوس الى تصوير الجانب الإنساني والهوية الفردية، فالوجوه يمكن أن تكون متنوعة في الشكل والتعبير وتعكس تجربة الفنانة وتفسيرها للصرخة والتعبير العاطفي.
- الأفواه المفتوحة: وجود الأفواه المفتوحة يركز على الصراخ والتعبير العاطفي القوي، حيث يمكن أن يكون لهذا العنصر تأثير درامي قوي، ويمثل انفجار المشاعر والعواطف المكبوتة.

التحليل النفسي:

- التعبير عن الصرخة: رؤية الأفواه المفتوحة التي تصرخ كتعبير عن الصراخ الداخلي والانفجار العاطفي، يرمز إلى الألم النفسي والضغوط العاطفية المكبوتة التي يمكن للأشخاص أن يشعروا بها.
- التجاوب مع العواطف: تفسير هذه الأعمال على أنها محاولة للتعبير عن العواطف السلبية المكبوتة وإطلاقها واستخدام الفن للصراخ والتعبير العاطفي وسيلة للتحرر من الضغوط النفسية والتوتر.
- التواصل الاجتماعي: يشير استخدام الأفواه المفتوحة إلى الرغبة في التواصل مع الآخرين، حيث تعكس الصرخة رغبة الفنانة في البوح بمشاعرها وإيصال رسالتها الشخصية.

للفنانة أهداف وتفسيرات خاصة بها لهذه الأعمال، حيث يتم استخدامها كجزء من عملية العلاج الفني للإفصاح عن الذات والتعبير عن المشاعر الداخلية.

وخلال فترة جائحة الكورونا التي لها تأثيرات عميقة على الصحة النفسية للأفراد حول العالم وقد أدت الإجراءات الاحترازية مثل التباعد الاجتماعي والحجر المنزلي إلى انعدام التواصل الاجتماعي وزيادة القلق والاكتئاب والضغط النفسي، حيث اكتسبت الصرخة في العمل الفني والعلاجي للفنانة سناء الجمالي أعماري بعدا رمزيا ومن الدلالات المحتملة للصرخة في هذا السياق:

1. التعبير عن الضغوط النفسية: تمثل الصرخة في الأعمال الفنية والعلاجية للفنانة إفراز للضغوط النفسية والقلق المتراكمين خلال فترة الجائحة وتعبر الصرخة عن التوتر العاطفي والقلق والشعور بالعجز أو العزلة التي يمكن أن يشعر بها الأفراد في ظل القيود والتحديات التي تفرضها الجائحة.

2. التعبير عن الألم والخسارة: تعكس الصرخة في الأعمال الفنية والعلاجية للفنانة المشاعر المتعلقة بالألم والخسارة الناجمة عن الجائحة وقد يشعر الأفراد بالحزن على فقدان الأحباء، وتجربة الأذى الصحي أو الاقتصادي، والمعاناة العاطفية التي ترتبت على ذلك.

3. توحيد الأفراد والتضامن: تعكس الصرخة في الأعمال الفنية والعلاجية للفنانة رغبة الأفراد في التوحد والتضامن معًا خلال فترة الجائحة، فالصرخة تعبيرًا عن الحاجة إلى التعبير عن الصوت الجماعي للألم والتحديات التي يواجهها الجميع، وإشارة إلى أننا جميعًا في هذه المعاناة المشتركة.

4. الأمل والتحدي: تحمل الصرخة في الأعمال الفنية والعلاجية للفنانة دلالة على التحدي والقوة الداخلية للتغلب على الصعاب والمضايقات وتشير الصرخة إلى أننا نستطيع التعامل مع التحديات والمصاعب بشكل إيجابي والتعبير عن الأمل والإصرار في الحياة.

تكرار الأشكال

يشكل التكرار سمة مميزة في البنية التشكيلية والمضمونية في أعمال سناء الجمالي أعماري الخزفية ويمكن تصنيفه الى التكرار الشكلي (تتكرر فيه أشكال الوجوه من الكبيرة الى الصغيرة) والتكرار المضموني (تكرار المعنى).

فالتكرار الشكلي ما هو الا تواجد على المستوى البنائي للتشكيل ويميز الوظيفة البنائية ليخبئ معاني عميقة " **ان التكرار الظاهري يخفي العديد من المعاني**"[3]، حيث أن تكرار الوجوه المشوهة والمختلفة أحجامها قد ضاعف من القوة الرمزية في الأعمال الفنانة

التشكيلية، " **ان للتكرار في ذاته نوعا سحريا في الفكر الابتدائي وأن للصيغة التي تذكر مرة واحدة، قوة أعظم جدا حين نكررها**"[4]

ان تراص الوجوه وتراكمها وتكرارها في أعمال سناء الجمالي أعماري يكون الغرض منه اظهار كثرة العدد وذلك للإحساس بالقوة والسيطرة المكانية في الوجود الزمكاني المطلق حيث تتصارع السياقات التشكيلية والمدلولات الضمنية لتصوغ حلولا علاجية واستشفائية.

الألم والصراخ في أعمال الفنانة ليس ألما وعنفا خارجيا (تشكيليا) فحسب بل هو صراع ومعاناة وجودية تقاوم بعنف وتطوق للتحرر.

تكرار وتراكم الأشكال والوجوه في أعمال الفنانة سناء الجمالي أعماري

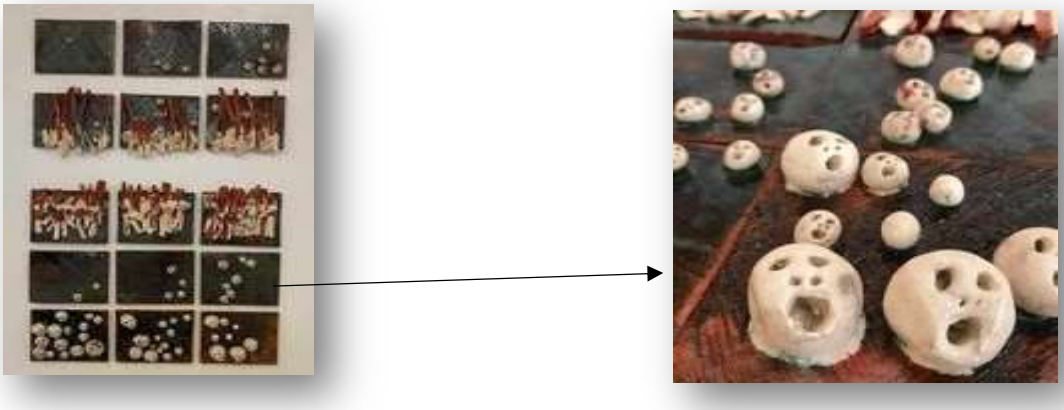

سناء الجمالي أعماري، Tsunami، 2021

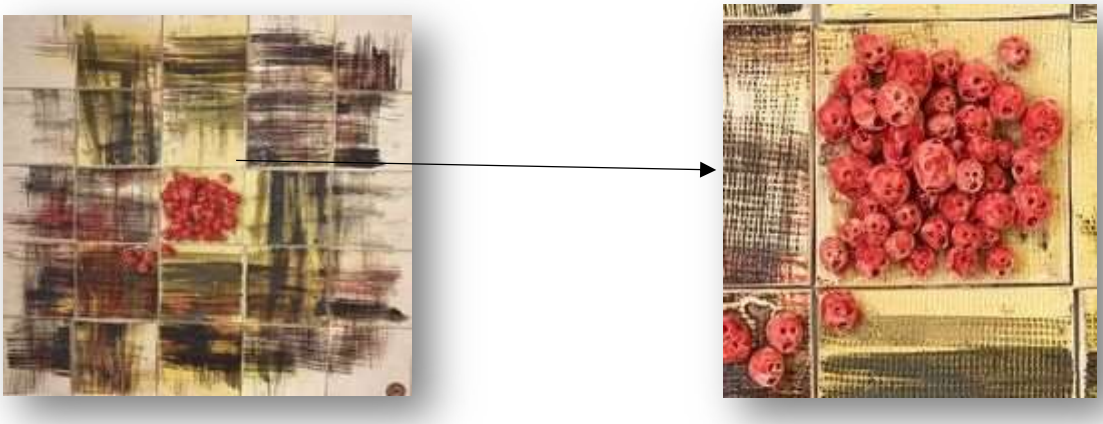

سناء الجمالي أعماري، L'envol، 2021

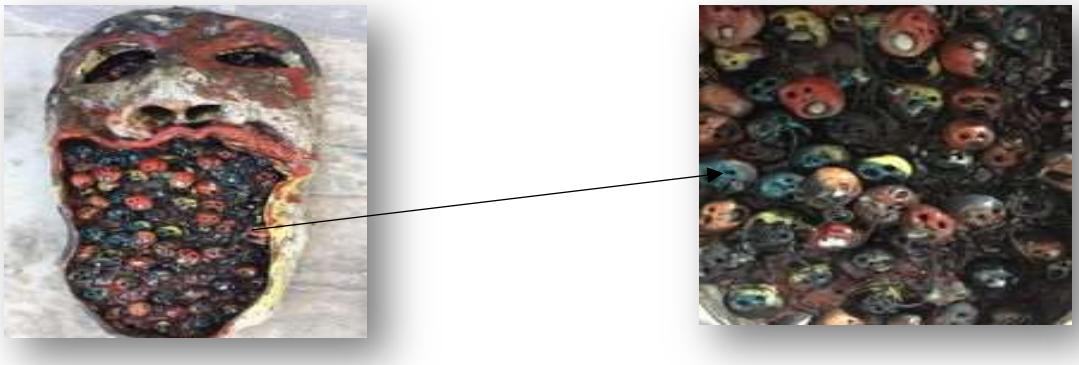

صورة عدد: **سناء الجمالي أعماري، Les barques de la mort، 2021**

ان وجوه الفنانة سناء الجمالي أعماري تصرخ طالبة الخروج من الضيق الى الفرج ومن الهم الى الفرح من خلال بوحها للمتلقي بهول المأساة، فالواقع مليء بالحزن والألم ولوعة الفراق، هذه الأفواه المفتوحة بكل عنف وألم صارخة تضاهي الصيحة الوجودية للفنان ادوارد مونش.

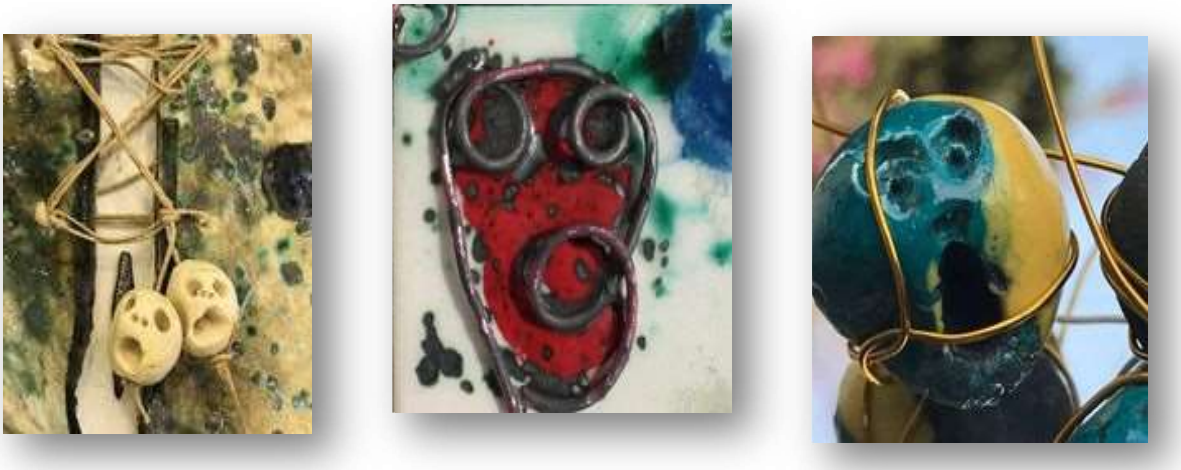

استعملت الفنانة أسلاك من الحديد وخيوط لرتق وربط وجوهها التي غابت ملامحها، حيث أنها سعت من خلالها الى التعبير عن هم انساني عام. من خلال هذه التفاصيل من الأعمال نسمع صوت الصراخ الداخلي للإنسان اذ أن للكتلة الصماء تأثيرات صوتية، انها لحظة انفجار الروح الإنسانية، هذا هو الصوت الداخلي للشكل والخامة.

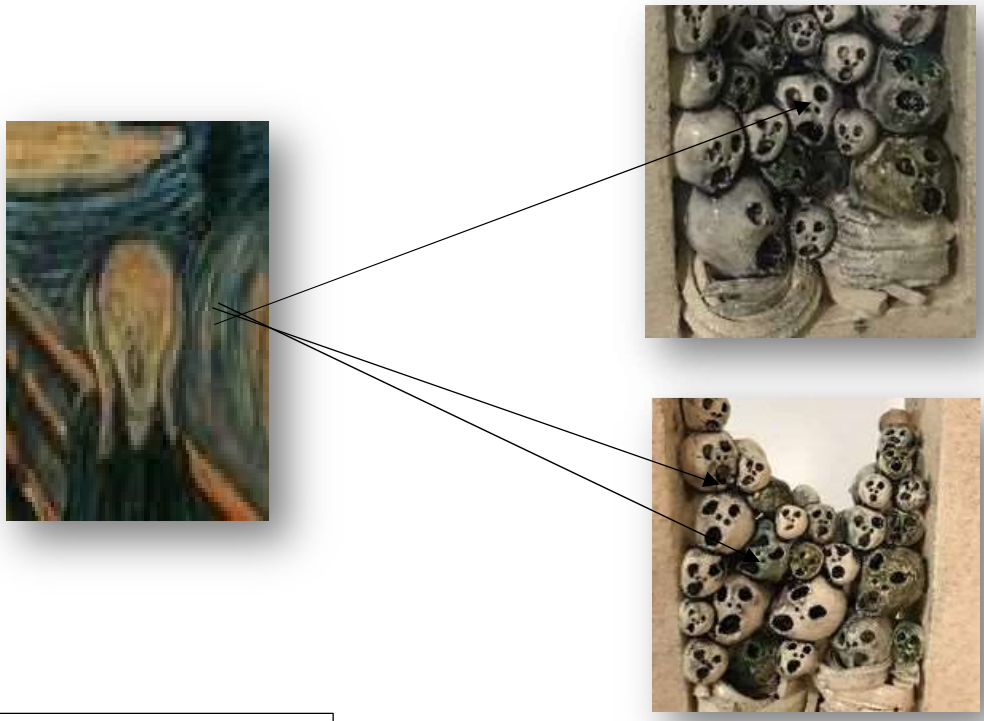

جزئية من لوحة أدوارد مونش، الصيحة

تفاصيل من أعمال سناء الجمالي أعماري

يمكن القول إن نقاط التلاقي تكمن في استخدام الصرخة كموضوع فني وتعبير عاطفي قوي، حيث أن كلا الفنانين يستخدمان الصرخة للتعبير عن الاضطراب النفسي والاكتئاب والقلق، ويحاولان بعث رسائل عميقة حول الحالة الإنسانية والتحديات النفسية التي يواجهها الأفراد في المجتمع.

جسد الفنان ادوارد مونش في لوحته، وجها بملامح مومياء يصرخ على حافة جسر والكون بأكمله يصرخ من خلال الألم المنبثق من الألوان والمساحات التي تنحني في الخلفية.

انها متاهة بصرية تحتل فيها المنحنيات الدور الفعال لخلق عالم من الاضطرابات البصرية للشكل والخط التي صور من خلالهما الصراعات الداخلية للإنسان وعبر عن القلق والحيرة.

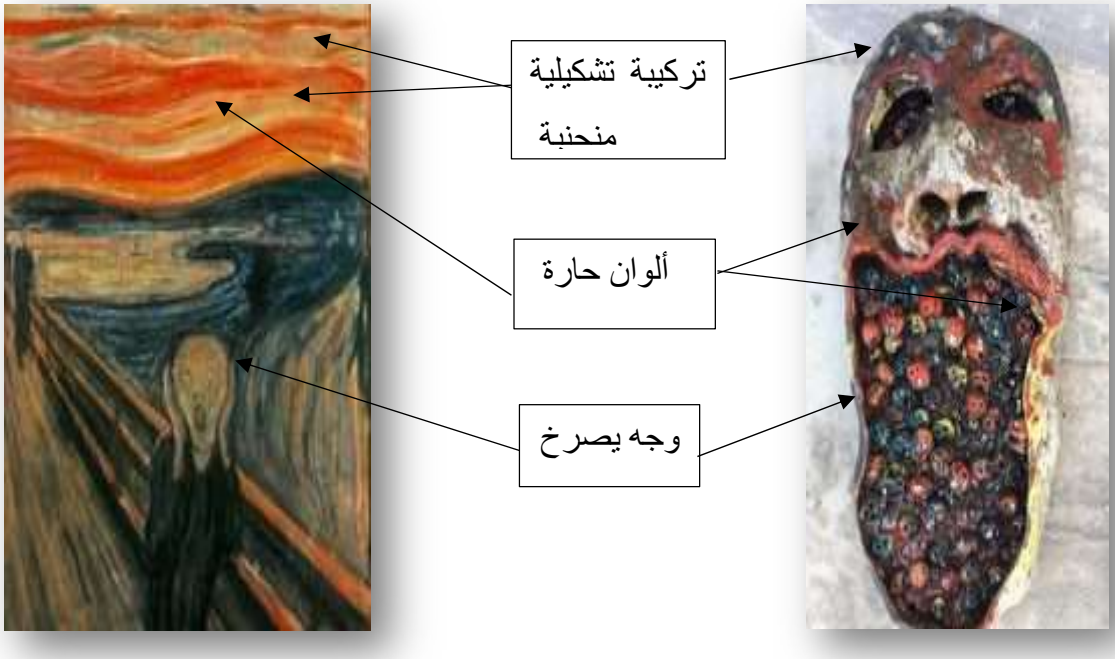

أدوارد مونش، الصيحة، ألوان زيتية، 1893

يختلف النهج الفني والتقني في كلا الحالتين، ففي أعمال الفنانة سناء الجمالي أعماري يتم استخدام الخزف كوسيلة للتعبير والتشكيل، حيث تعمل الفنانة على تشكيل وتحويل الطين لإبداع وجوه تصرخ تعكس رؤيتها الفنية والرمزية، بينما في عمل "الصرخة" لمانش، يتم استخدام التقنية اللونية والرسم لنقل رسالة الصرخة التي تصور حالة ذهنية تعبر عن الخوف الوجودي.

في هذا السياق، يمكن أن يكون العلاج بالفن من خلال الخزف وسيلة فعالة للتأقلم والتعافي من آثار

الألم النفسي والجسدي فهو يتيح:

التعبير والتحرر العاطفي:

يتيح التعامل مع مادة الطين فرصة للتعبير عن المشاعر والانفعالات بطريقة إبداعية، حيث يمكن للأشخاص استخدامه وتشكيله لتحرير مشاعرهم والتعبير عن التوتر والقلق الذي تسببه الجائحة.

التركيز والانغماس:

يتطلب التعامل مع مادة الطين تركيزًا عاليًا وانغماسًا في العملية الإبداعية، حيث يمكن لهذا التركيز أن يشغل الأفكار ويخفف من التفكير المفرط بالأحداث السلبية المحيطة.

الانفراد والاسترخاء:

ان التعامل مع مادة الطين هي تجربة فردية تسمح للأشخاص بالانغماس مع أنفسهم والاسترخاء، وهذه التجربة تعمل على تهدئة العقل وتخفيف الضغط النفسي.

التنمية الشخصية والإبداع:

يساهم التعامل مع مادة الطين في تنمية المهارات الإبداعية والفنية، وتعزيز الثقة بالنفس والتحسين الشخصي، فيمكن للأفراد استكشاف قدراتهم الفنية وتطويرها خلال هذه الفترة.

الهوامش:

[1] بلرتميلي (جان)، **بحث في علم الجمال**، ترجمة د. أنور عبد العزيز، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر– القاهرة، نيويورك، 1970، ص 187

[2] النوري لمجد، سناء الجمالي أعماري...عنوان التحدي، كاتالوك للفنانة سناء الجمالي عماري، 2021 "
Le paradigme du CRI et le départ du choix"

[3] المقداد (قاسم)، **هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، جلجامش**، دمشق، دار السؤال، 1984، ص 131

[4] لالو (شارل)، **الفن والحياة الاجتماعية**، تر: عادل العوا، بيروت، لبنان، دار الأنوار، 1960، ص 190